
من حكايات الإمام
تأليف/ فريد محمد معوض
رسوم/ عبد الرحمن بكر
البنت التى أفطرت قبل الآذان
العلم والإيمان للنشر والتوزيع
جمهورية مصر العربية / دسوق / ميدان المحطة / ش الشركات، ت: ٢٥٥٠٣٤١ /٠٤٧ ـــ ف: ٢٥٦٠٢٨١ /٠٤٧.
رقم الإيداع: ٢٠٠٤/١٦٤٦٢
الترقيم الدولى: I.S.B.N. 977-308-054-4
الطبعة الأولى: ٢٠٠٥ - ٢٠٠٦
تحذير: يحذر النشر والنسخ والتصوير والاقتباس بأي شكل من الأشكال إلا بإذن وموافقة خطية من الناشر.

دخَلَ الدارُ فجأةً، ورَآهَا ترفعُ قربةَ الماءِ إِلى فَمِّها، كَانت تشربُ فِى نهارِ رمضَانَ فى البدءِ تصورَ محمدُ أَنَّه يحلمُ، أَو أَنَّها نَسيَت، أو ربمَا دخَلَ داراً أُخرَى غَير دارِهم، ورأى بنتاً أُخرَى غَير ابنةِ عمتهِ " ضُحىَ " وراحَ يتابعُ تدفقَ الماءِ فوقَ فمِها.

همسَ لنفسهِ فى ضيقٍ :

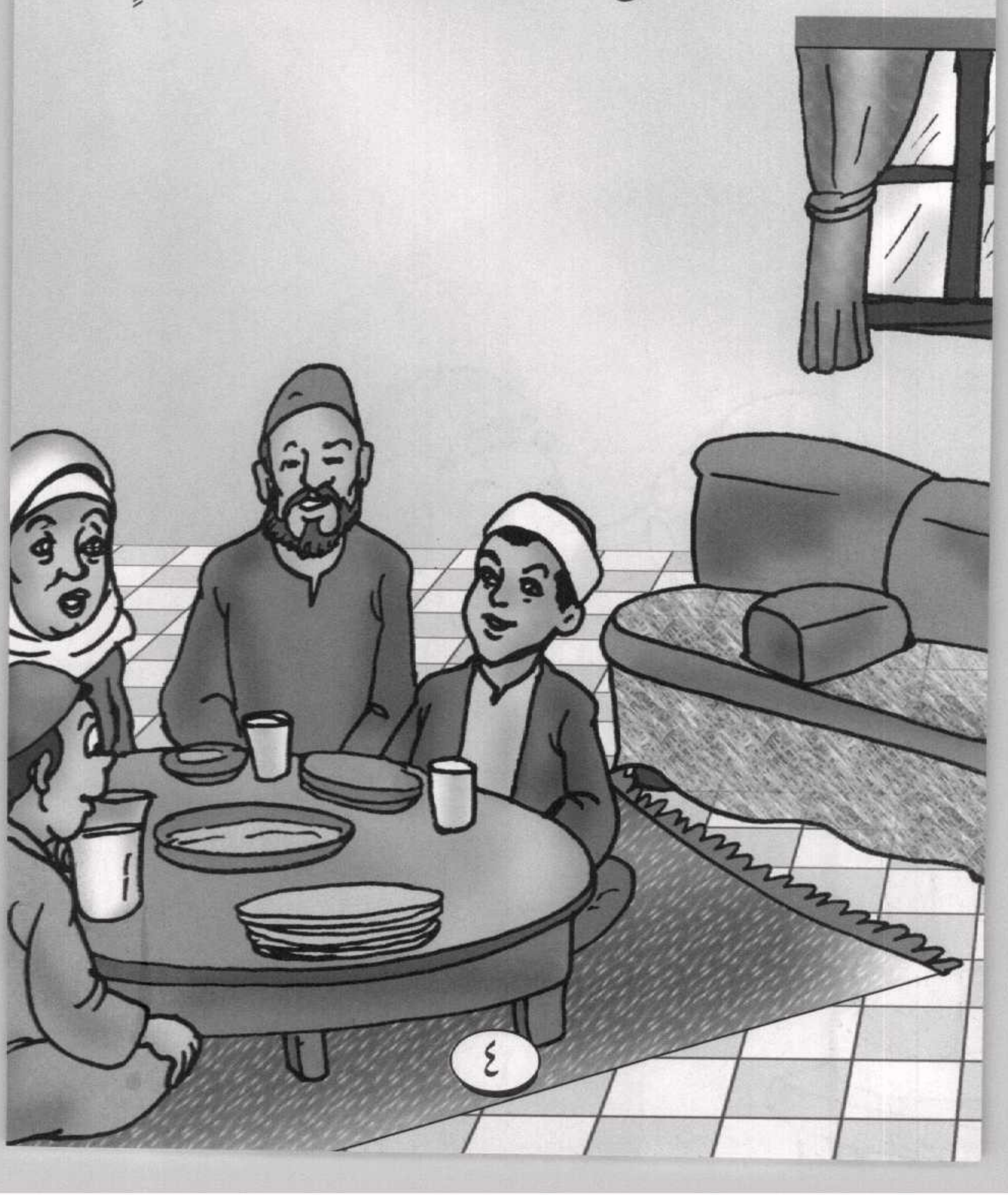


- ضُحَى

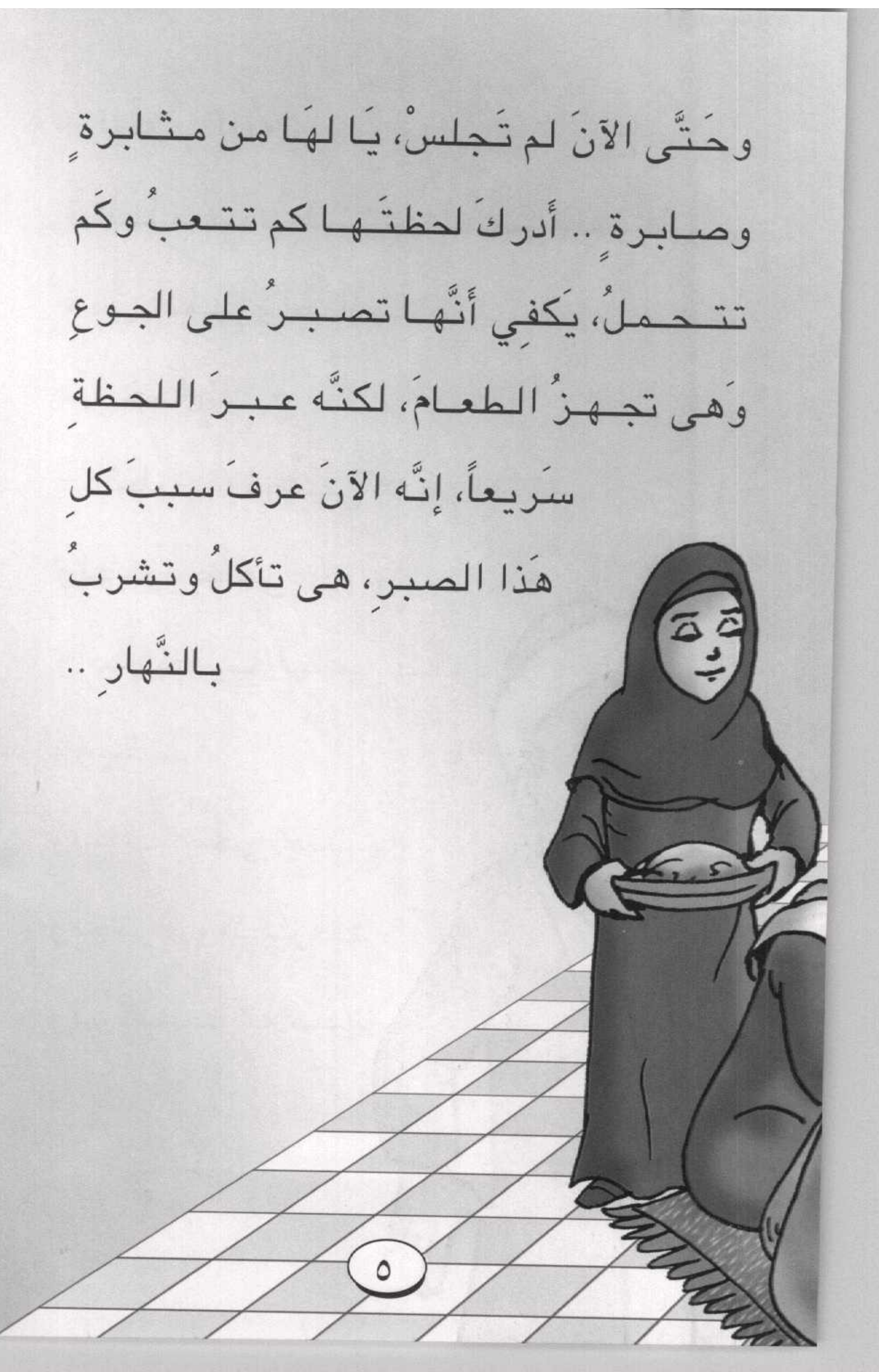
ضُحَى التى لا تفوتُها صلاةَ فكيفَ يفوتُها الصيامُ .!



تذكَّرَ مشهدَ الإفطَارِ بالأمسِ، تحلَّقَ الجميعَ حولَ المائدةِ في انتظارِ الآذانِ وضُحَى كَانت قَد جَهَّزَت كلَّ شيءٍ.



وحَتَّى الآنَ لم تَجلسْ، يَا لهَا من مثابرةٍ وصابرةٍ .. أَدركَ لحظتَها كم تتعبُ وكَم تتحملُ، يَكفِي أَنَّها تصبرُ على الجوعِ وَهى تجهزُ الطعامَ، لكنَّه عبرَ اللحظةِ سَريعاً، إنَّه الآنَ عرفَ سببَ كلِ هَذا الصبرِ، هى تأكلُ وتشربُ بالنَّهارِ ..



- اللَّه ... اللَّه

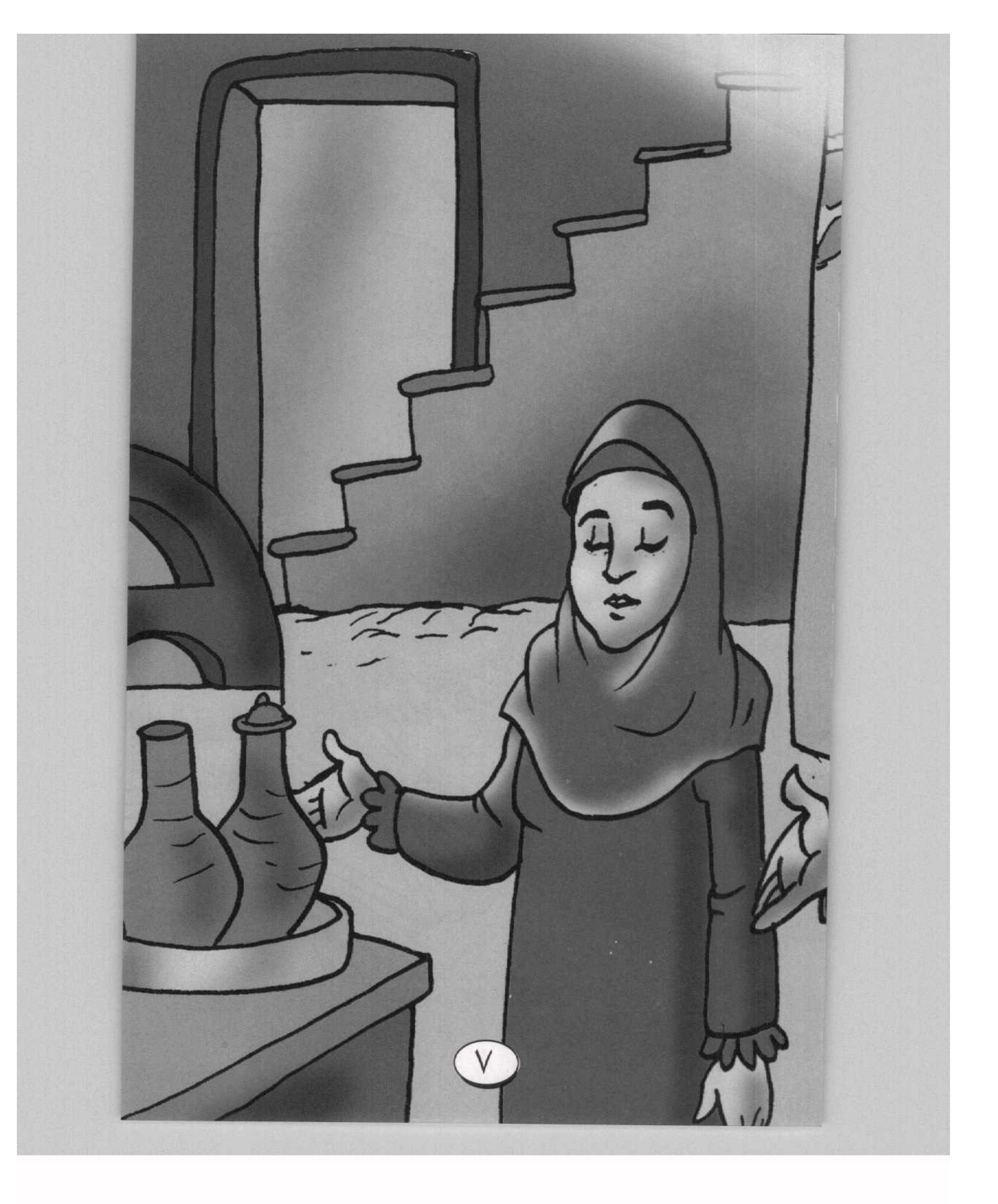
قَالهَا محمدٌ فأَنزلَت ضُحَى القربةَ مِنْ فوقِ فَمِها وأصَابهَا الارتبَاكَ، وأَطرَقَت فى خَجَلٍ.

- أَفطِرتِ يا ضُحَى ؟!

ولم تَرُدْ ضُحَى.

واصلَ حديثَه لها فى ضيقٍ ووبخها.

وَبَلعَت ضُحَى خَيبتَها ولم تَرد، وانصرَفَت وقَدْ تَبلدَت مَلامِحُها.





رَاحَ يُفكرِ، تَداعَت أَمَامـه صورٌ سـريعـةٌ متلاحقةٌ، كَانَ لا يهتمُ بِهَا، كم تَتعَبُ ضُحَى تَكنسُ الدارَ، تَغْـسلِ الأوعـيـةَ، تَحلبُ البَقَرةَ تصعدُ فوقَ السَّطحِ، تُلقي حزمةَ مِنْ قشِ الأُرزِ، ليس قَـبل أَنْ تنظرَ أَين تلقيها، تَنزلُ إليهَا ثَانية - تَفكُها، تجدلُ القشَّ لقيماتِ للفرنِ وتطعمُه واحدةَ بعدَ الأُخرَى فتشتعلُ النارُ، تَجلسُ ضُحَى قبالتَها تدسُّ أرغفةَ الخبزِ بالدَاخلِ تَستَوي الأرغفةُ تَخرجُ قُباباً علَى ذِرَاعيهَا، وبعدَ أَنْ تفرغَ تملأُ حلقَ الفرنِ أُرزاً معمراً أو سَمَكاً أو شواءً

همسَ لنفسهِ :

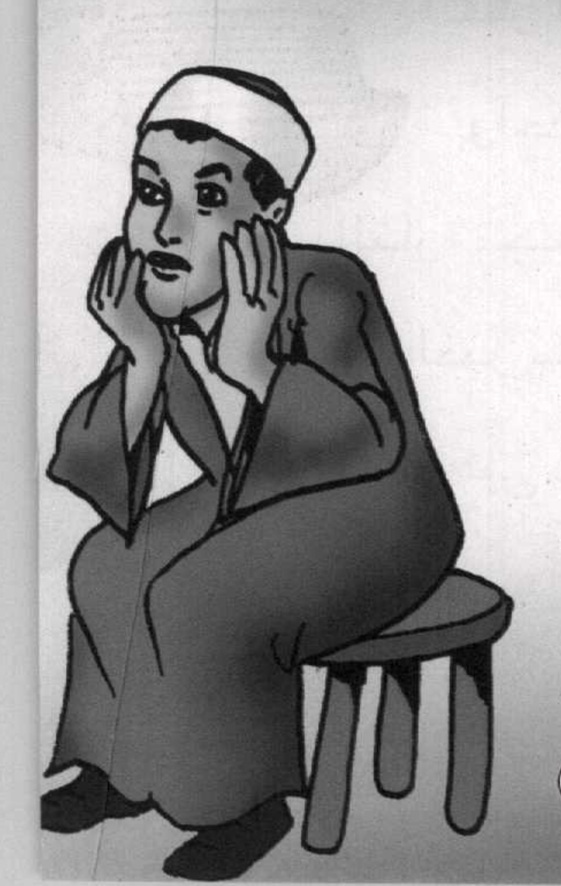
- ضُحَى تتعبُ.

ثم عادَ يقولُ :

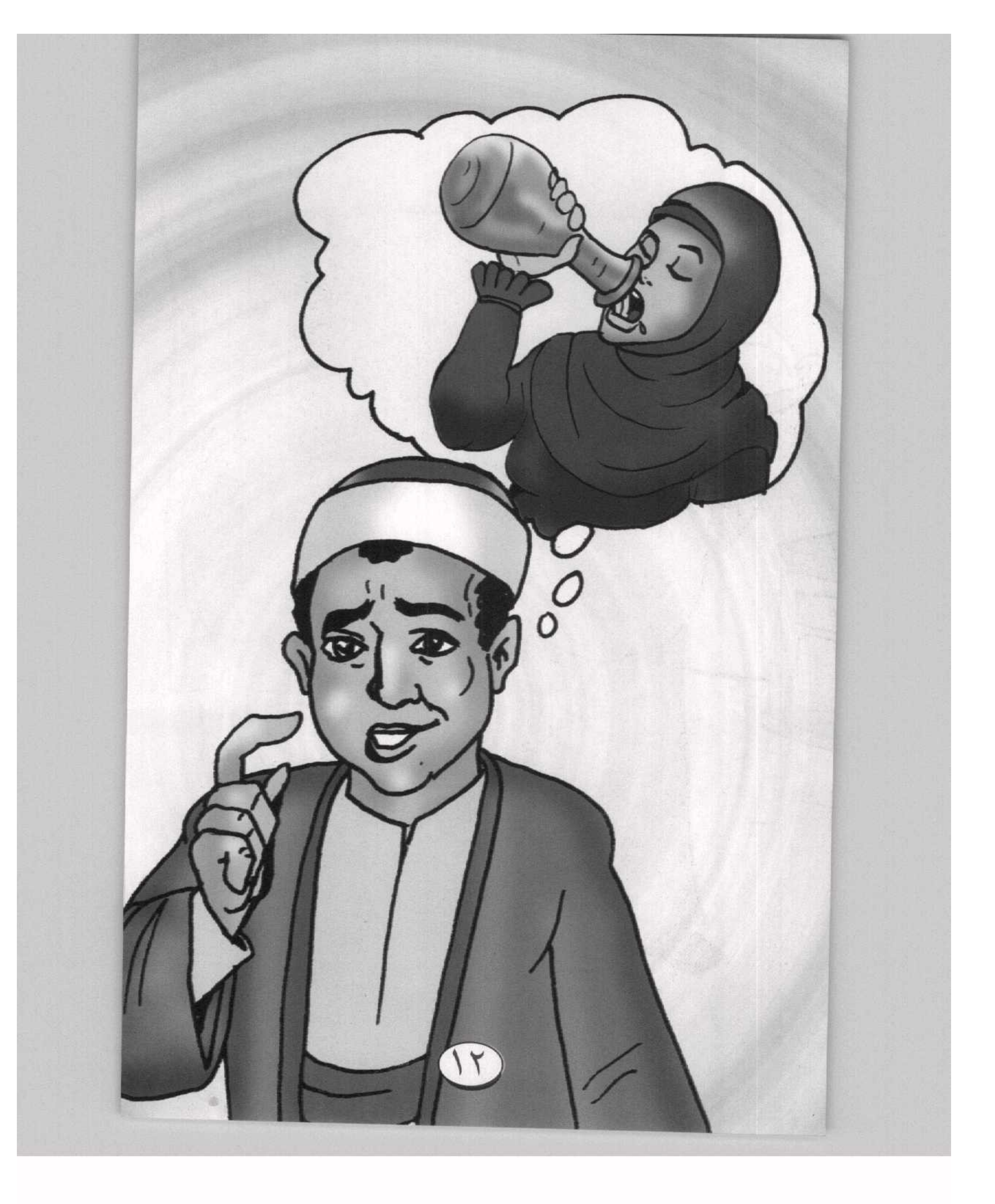
- وَأُمِّى تَتَعَبُ لكنِّها تصومُ.

- ضُحَى أصغرُ مِنْ أُمى

- نَعم لكنِّها ليسَت صغيرةً علَى الصيامِ.







هَبَّ محمدُ مِنْ مكانِه وكَادَ أَنْ ينسَى أَمرَ ضُحَى تَماماً غيرَ أنَّه لَمَحَ أُمَّه وقَدْ دَخَلَت ابتسَمتُ بما يعنِي أَنَّها تقصدُ موضوعَ ضُحَى.

- قلْ لِى يا محمدُ .. إِلى أَينَ وصَلتَ فى الفقهِ.

اندَهشَ محمدُ مِن السُؤال :

- هلْ سَتسألنِى أُمِى فِى الفِقه ؟

لكنَّها لم تَنتَظر كَثيراً.



واستطرَدت قَائلةً :

- ألا تعرفُ متَى تُفطِرُ البنتُ البَالغُ، ولا يجوزُ لهَا الصيامَ.

وعَلىَ الفورِ تذكَّر محمدٌ الدرسَ، هو يحفظُه جَيداً، لَكنَّ غضَبه أنسَاه .. كم يشعرُ الآنَ بالخجلِ، حنَى محمدٌ رأسَه وقالَ :

- أعرفُ يَا أُمي أعرِف ..

لكنَّ الغَضبَ أنسَانِي.

ومِنْ يومِها قررَ محمدٌ ألاَّ يحكمُ على الظَاهِرِ مِن الأشياءِ، وأَنْ يتريثَ قبلَ أن يتحدثَ، وأَنْ يَكونَ واثقاً مما يقولُ، كانَت ضُحَى دَرساً رائعاً في حياتِه يتذَكرهُ دَوماً كلَّما رآهَا، لكنَّه مِنْ فرطِ حيائِه كان يطرقُ خَجَلاً ويبتسمُ وهو يَراهَا قادمةً.